الرضا والتراضي

● **الغاية من الخطبة** : بيان شرط الرضا لصحة الاعتقادات والمعاملات في الإسلام .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الرضا في مجال الاعتقاد .

(٢) وفي مجال المعاملات المالية .

(٣) وفي شئون الأسرة .

(٤) وفي إمامة الصلاة .

(٥) وفي السياسة وإمامة الأمة .

(٦) وبطلان المعاملات المبنية على الإكراه .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦) في هذه الآيةِ الكريمةِ تحريمٌ للإكْـرَاهِ في الدِّين ؛ أيْ أنَّ كلَّ شيءٍ في الدِّينِ يجبُ أن يَتمَّ بالرِّضَا . فالإنسانُ لا يؤمنُ إيماناً صحيحاً إلا إذا فعَلَ ذلك بكامِـلِ حُـرِّيته ورضاه ؛ فإذا أُكْـرِهَ على الإيمانِ كان إيمانُـه غَيْـرَ صحيحٍ . وقد بيَّـن الإسلامُ الرُّشدَ ومَـيَّـزَهُ مِن الضَلالِ ؛ بَيَّـنَ الدِّينَ الحقَّ ، دِينَ التوحيدِ ، ومَيَّزَهُ مِنَ الشِّـركِ ومن الاعتـقاداتِ المنحرفةِ . وعلى البَشرِ أن يختاروا بحُـرِّيتهم دون إكراهٍ أو قَسْـرٍ . والدينُ في حُكمِ الإسلامِ يشملُ كلَّ جوانبِ الحياةِ : الاجتماعيةِ ، والاقتـصاديةِ والسياسيةِ والثـقافيةِ . وتبعاً لهذا كان من الواجبِ أن يكونَ الرِّضا شرطاً جَوهريًّا لصِـحَّـة المعاملاتِ في كلِّ هذه الجوانبِ . وبعبارةٍ

أخرى ، كلُّ الحياةِ البشريةِ يجبُ أن تقومَ على الرِّضا والتراضي ، أو على حُريَّةِ الإرادةِ ، دون إجْبارٍ أو إكراهٍ .

– لكن هذا المبدأَ ـ مبدأَ الرِّضا والتراضي ـ مُخصَّصٌ بالقرآنِ الكريمِ ذاته . يعني هناك استثناءاتٌ يجوزُ فيها الإكراهُ ، بل يجبُ . مثال ذلك : إكراهُ المشركين والوثنيينَ والمُلحِدين على الإيمانِ بدينِ اللهِ تعالى ، لأن الإسلامَ لا يُجيزُ وجودَهم في مُجتمعِه ، وإنْ أجازَ وجودَ اليهودِ والنصارى . يقولُ اللهُ تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (التوبة:٧٣) ويقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٢٨) ويقول سُبحانَه ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:٥) ولهذا عاشَ اليهودُ والنصارى في المجتمعاتِ المسلمةِ ومارَسُوا شعائرَ دِينهم ؛ أما المشركون فحاربَهم النبيُّ ﷺ ، وأمرَ بتحطيمِ أصنامِهم : أمرَ الطُّفَيْلَ بن عَمروٍ بتحطيمِ صَنَمٍ كانَ يُسمَّى « ذا الكفَّيْن » ، وأمرَ جَريرَ بنَ عبد اللهِ بتحطيمِ صَنَمٍ كان يُسمَّى « ذا الخَلَصَة » . وحطَّمَ النبيُّ بيدِهِ الشريفةِ الأصنامَ التي كانت حولَ الكعبةِ المشرَّفةِ . ونحن اليومَ يجبُ أن نمنعَ الإلْحادَ والشيوعيةَ ، لأنها أحطُّ من الوثنيةِ ! ولا يجبُ أن نصْغِيَ إلى أحاديثِ الغربِ الزائفةِ عن الحريةِ . فالحريةُ لها حدودٌ ، وهي في الإسلامِ لا تعني حريةَ الكفرِ باللهِ تعالى .

٢– وتقومُ المعاملاتِ الماليةُ والتجاريةُ كلُّها على الرِّضا والتراضي . وكلُّ معاملةٍ تتمُّ بالإكراهِ باطلةٌ . يقول ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء:٢٩) فكلُّ معاملةٍ لا تتمُّ بالتراضي هي باطلةٌ ، وهي أكْلٌ لأموالِ الناسِ

بالباطلِ ؛ وهي سببٌ أساسيٌّ للاقتتال بين الناسِ . فلا بيْعَ ولا شراءَ ولا إيجارَ ولا قرْضَ ، ولا رَهنَ ولا أجْرَ ولا صَدَاقَ ولا نفقةَ ، إلا بالتراضي ، وعلى أساسٍ من حُكمِ اللهِ تعالى وشريعتِه . ومَنْ يبْتغِ أكلَ مالِ الناسِ بالباطلِ ، يُكرهْهُ القضاءُ على أداءِ حقوقِهم . والشهداءُ أو الشهودُ على المعاملاتِ الماليةِ يجبُ أن يكونوا مَوْضعَ الرضا من الطرفَيْن أيضاً . فيقولُ اللهُ تعالى في هذا ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (البقرة:٢٨٢) وهكذا يضعُ الإسلامُ أُسُسَ التعاملَ بما يَضمنُ الحقوقَ ويمنعُ المُشاحَناتِ بين الناسِ . وهذه الأُسُسُ بَدَهيَّاتٌ مُطلَقَةٌ خالدةٌ لا ينالُها تغييرٌ أو تبديلٌ ، وهي قمةٌ في المجالاتِ الماليةِ والتجاريةِ لم تتخطَّاها أمَّةٌ في القديمِ أو الحديثِ . والمسلمون مُطالَبونَ باحترامِ مَبْدأ الرِّضا في كلِّ مُعاملاتِهم الماليةِ والتجاريةِ لكي تكونَ مُعاملاتٍ شرعيةً سليمةً ،بعيدةٍ عن أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ . ومِن المُحْزنِ أننا هذه الأيامَ لم نَعُدْ نحترمْ شَرْطَ الرِّضَا ، وأوْغَلَ كثيرٌ مِنا في أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ ، وتفنَّنوا في أساليبِ السَّطو على أمْوَالِ الآخَرين ، فغَصَّتْ سَاحَاتِ القضاءِ بالشَّاكين والمُتقاضِينَ ، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلاَ باللهِ العليِّ العظيم!

٣- ومبدأُ الرِّضَا هو أساسُ الحياةِ الأسريةِ في الإسلامِ . فالزواجُ لا يَصحُّ إلا برضَا الطرَفَيْن . والزواجُ بالإكراهِ فاسدٌ وباطلٌ . يقولُ الرسولُ ﷺ : «الأيِّمُ أحَقُّ بنَفسِها مِن وَلِيِّها ، والبِكرُ تُسْتأمَرُ في نفسِها ، وإذْنُها صُمَاتُها .» والصَّداقُ للزوجةِ . ولا يحلُّ للزوجِ أن يأخذَ منه شيئاً إلا برضَاها التامِّ . يقولُ ربُّ العزةِ في ذلك ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (النساء:٤) وهذا تعبيرٌ بالغٌ في وضُوحِهِ وبلاغَتِهِ عن تمامِ الحُريَّةِ للمرأةِ . وحتى فِطامِ الطفلِ قبلَ أن يُتمَّ الرَّضَاعةِ يجبُ أن يتقرَّرَ بالتراضي . وفي هذا يقولُ الحقُّ تبارَكَ وتعالى ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ (البقرة:٢٣٣) وهكذا في كلِّ الشئونِ الأُسريَّةِ ، نجدُ الأساسَ هو الرِّضَا والتراضي وحُريَّةُ المُتعامِلين .

٤- وفي الصلاةِ يُعلمُنا رسولُ اللهِ ﷺ أن رضَا المُصلِّينَ هـو شَـرطُ صِحَّةِ الإمامَةِ ، فيقولُ :« ثلاثةٌ لا ترتفعُ صَلاتُـهم فوقَ رُؤوسِهم شِبراً : رَجلٌ أمَّ قوماً وهُـم له كارهون ، وامرأةٌ باتَتْ وزوجُها عليها سَاخِط ؛ وأخَوَانِ مُتخاصِمان .» ولا تصحُّ الصلاةُ في دارِ مُغتصَبَةٍ أو مَسجدٍ مُغتصَبٍ . فيجبُ أن تكونَ أرضُ المسجدِ مَمْلوكةً مِلكيَّةً شرعيةً مَبْنيةً على شرْطِ الرِّضَا . فإذا اُغتُصِبَتْ الأرضُ أو المباني أو الأثاثُ ، وأُخِذَت بغيرِ رضا مَالِكِها الأصْليِّ لم تَـجْزئْ فيها الصلاةُ لأنها مُغْتصَبَةٌ أو فيها جزءٌ مُغْتصَبٌ . وعلى كلِّ مُسلمٍ أن يتحرَّى سَلامَةَ بَيْتِهِ ومَسْجدِهِ مِن آفةِ الغَصْبِ ، ويتأكَّدَ أنه مَبنيٌّ على أرضٍ غيرِ مُغْتصَبَةٍ ، وكلَّ إجْرَاءاتِهِ تمَّتْ بالرِّضَا . وكذلك يجبُ على كلِّ مَن يتقدَّمَ الناسَ لإمَامةِ الصلاةِ أن يتأكدّ أنهم ليسوا كارهينَ لإمامَتِهِ . والناسُ الذين يُعْتدُّ برضَاهُم هم الذين شيَّدُوا المَسجدِ والذين يقومون على رعَايَتِهِ . ومن المؤسِفِ أن بعضَ الناسِ يفْرضُ نفسَهُ إماماً ، وهو غيرُ مؤهَّلٍ لذلك ، وغيرُ مَرْضيٍّ عنه مِن أهلِ المسْجدِ . والشكاوَى كثيرةٌ جداً مِن هؤلاءِ الأفرادِ .

٥- وشرطُ الرضَا واجبٌ أيضاً في اختيارِ إمامِ الأمَّةِ أو رئيسِها ، ولا يجوزُ أن يَفرضَ إنسان نفسَه بالقوةِ المُسلحةِ على أمَّتِهِ ، كما حَدثَ ويَحدُثُ في كثيرٍ مِن بُلدانِ العالمِ الإسلاميِّ . ويكونُ رَدُّ الفعلِ لذلك ظهورُ المعارضةِ له ، ثم قَمْعُ المعارَضَةِ بالقوةِ وتسْخيرُ الجيوشِ في سبيلِ ذلك . وتضيعُ الأموالُ الباهظةُ والجهودُ العظيمةُ في الحروبِ الأهليةِ ، كما حدثَ في بلادٍ إسلاميةٍ عديدةٍ . فرئيسُ الأُمةِ هو إمامُها . ووظيفتُهُ الأساسيةُ رعايةُ الإسلامِ . و﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة:٢٥٦) تشملُ أنه لا إكراهَ في السياسةِ . وقد رأينا كيفَ اختارَتْ الأمةُ المسلمةُ أبا بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعلياً ؛ دونَ قَسْرٍ أو إكراهٍ ، وإنما بالشورَى والرضا مِن جانبِ الأغلبيَّةِ . وحين نبَذَ الأُمويون والعباسيون مبدأ الرضا ، وفرَضوا أُمرَاءَهم على المسلمين بالقوةِ ، فسَدَتِ الحياةُ السياسيةُ في بلادِ المسلمين ، وانتشرَتِ الثوراتُ والحروبُ الأهليةُ ، وقُتِلَ من المسلمين عَددٌ أكثرُ كثيراً مِن عَددِ القتْلى

في الحروبِ ضِدَّ الأعداءِ! لقد كان رضا الرَّعيةِ هو مؤهلاتُ الحاكمِ ؛ وكان عمرُ ابن الخطابِ يعزلُ الحاكمَ إذا شكاهُ المسلمون : فعَزلَ سعدَ بن أبي وقاصٍ عن الكوفةِ ؛ وعزلَ عمَّارَ بن ياسرٍ للسَّببِ نفسِه ؛ وعزلَ أبا موسى الأشعَريَّ وخالدَ ابنَ الوليدِ ؛ وعزلَ عامرَ بنَ الحَضْرميِّ عن البحرينِ لمُخاطرَتِهِ بأرواحِ المسلمين . فليسَ أمامَنا طريق للتقدُّمِ والاستقرارِ إلا باحترامِ شرطِ الرِّضا في حياتِنا كلِّها . نسألُ اللهَ تعالى أن يُوَفقَنا إلى احترامِ هذا المبدأ العظيمِ في حياتِنا كلِّها إنه سميعٌ قريبٌ مجيب .

(الدعاء)

الاغْتِرَارُ بالدُّنيا

● **الغاية من الخطبة** : التحذير من الاغترار بالدنيا .

● **العناصر الأساسية** :

(١) التذكير بأن وعدَ اللهِ حق ، وأن الموتَ والبعث والحسابَ حق .

(٢) والتحذير من غرورِ المرء بمالِهِ وولده .

(٣) والتذكير بجهل الإنسان بأجلِهِ .

(٤) والتذكير بأن طبيعة الدنيا أنها امتحان وابتلاء .

(٥) سِرُّ الغرور بالدنيا : تكذيبُ الدين .

(٦) وسائلُ الدنيا للتغرير بالبشر .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- قالَ تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر:٥،٦) في هاتيْن الآيتين الكريمتيْن يُذكِّرُ القرآنُ الكريمُ عِبادَ اللهِ تعالى بأنَّ بعدَ الموْتِ بَعْثًا وحِسَابًا وثَوَابًا وعقابًا لكيلا تغُرَّنَّهمُ الدُّنيا ويخْدَعهم الشيطانُ فيَنسَوْن رَبَّهم ويتورَّطون في المعاصِي . ولا رَيْبَ أن تذكُّرَ الموتِ والبعثِ والحسابِ أمامَ اللهِ تعالى له أثَرٌ عظيمٌ في وقايةِ المؤمنِ مِن داءِ الغُرور بالدنيا والإغراقِ في شهواتِها ومُحرَّماتِها . فيجبُ علينا نحن المسلمين أن نُديمَ تذكُّرَ الموتِ والبعْثِ والحسابِ أمامَ رَبِّ العالمين الذي ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (غافر:١٩).

- ويُذكِّرُنا القرآنُ الكريمُ في آيةٍ أخرى بأنَّ الحِسابَ أمامَ اللهِ تعالى لا يَجْزي فيه والدٌ عن ولدِه . إنه يُحمِّلُ كلَّ فردٍ مسئوليةَ عَمَلِهِ كاملةً فيقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان:٣٣) فلا يَقولنَّ أحَدٌ إن أبي سَيَحمِلُ عنّي بعضَ ذُنوبي! وهذه هي العدالةُ الإلهيةُ السَّامية . وإذا أيْقَنَ المسلمُ أن الحسابَ سيكونُ فرْديًّا ، وأنَّه لنْ يَجدْ عَوْناً مِن أحَدٍ ، فإنه لابُدَّ أن يَرْتدِعَ عن المعاصِي والآثامِ وأن يتَّقي ربَّه ، ولا يَغترَّ بزينةِ الدنيا الخادِعَة .

٢- وقد يَرْزقُ اللهُ العَبْدَ مالاً وَفيراً ، وولَداً كثيراً ، فيكونُ ذلك سَبَباً في نِسْيَان رَبِّه الذي رَزَقَهُ ، والانغماسِ في المعَاصي مُستعيناً بالمالِ والولدِ ! فهو لا يذْكرُ اللهَ ولا يَقفُ عند حُدودِه ، فيَعْتدِي ويَفتَري ، فيكون مِن الخاسِرين .

- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون:٩) فهذا اللَّهْوُ يُؤدِّي إلى الاغترارِ بالدنيا ، أيْ الاسْتِغْرَاقُ في مَشاغِلِها ومَبَاهِجها ، ونسْيانِ اللهِ والبُعْدِ عن دِينِهِ وطاعَتِهِ . والفالِحُ هو الذي يسْتغِلُّ نِعْمَةَ المالِ في طاعَةِ اللهِ وإنفاقِهِ في أوْجُهِ الحَلال ، والذي يُرَبِّي أوْلادَهُ التربيةَ الإسلاميةَ ليكونوا أفراداً صالحين يُعِينونَه على الطاعَةِ ، ويُعِينُهم على الطاعَةِ . وهذا هو واجبُ كلِّ مُسْلمٍ طامعٍ في مَرْضَاةِ اللهِ تعالى وثوَابِه الأُخْرَويِّ العظيمِ .

٣- وللوقايَةِ من غُرُورِ الدنيا يُذَكِّرُ اللهُ تعالى عِبَادَهُ بأنهم يجهلون آجَالَهم . فقد يكونُ الإنسانُ في ذِرْوَةِ الشبابِ والصحةِ والقوةِ والعافيةِ والسلامةِ ، فإذا به في لحظةٍ قد فارقَ الحياةَ ، وهو خالي الوفاضِ من عَمَلِ الطاعاتِ ، فيَلْقَى ربَّه مُفلساً ! يقولُ ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(لقمان:٣٤) فواجبُ المسلمِ أن يتذكَّرَ دائماً أنه مُعرَّضٌ للموتِ ، ولقاءِ اللهِ ؛ فإذا تذكَّرَ ذلك دائماً فإنه إن شاءَ اللهُ لا يَغترُّ بالدنيا ، ولا ينسَى واجباتِه تجاهَ ربِّه وتجاهَ إخوانِه الذين يتعاملُ معهم ، ويكونُ من الفالحين .

٤- ومن طبيعةِ الحياةِ الدنيا أنها ابتلاءٌ أو امتحانٌ ، ولكنها ببهارجِها تُنسي الإنسانَ ذلك . ولذلك يُنبِّهُنا الخالقُ الحكيمُ ﷻ إلى ذلك فيقولُ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(الملك:١،٢) والدنيا هي الحياةُ والموتُ . والحياةُ تشملُ كلَّ ما هو إيجابيٌّ والموتُ يشملُ كلَّ ما هو سلبيٌّ . الحياةُ هي النموُّ والصحةُ والسعادةُ والإنتاجُ ؛ والموتُ هو السكونُ والركودُ والمرضُ والضعفُ والألمُ وسائرُ السلبياتِ . إذن كلُّ شيءٍ من عناصرِ الحياةِ والموتِ امتحانٌ للإنسانِ . فإذا فطِنَ المسلمُ إلى هذه الحقيقةِ سَلِمَ من غرورِ الدنيا وحَرِصَ على طاعةِ ربِّه ، وكان من المُفلحين . لكنَّ الغالبيةَ العُظمى من العبادِ في غَفلةٍ عن هذه الحقيقةِ ، ولذلك يقعون فريسةً للغرورِ بالدنيا ، فيَغرقون في مَشاغِلِها ومُشكلاتِها وحساباتِها ، ومَلذّاتِها ومتاعِبِها ، فلا يَشغَلُهم شيءٌ غيرها ، فهم لا يُفكرون إلا فيها ، ولا يعملون شيئاً إلا لها ، ولا يقلقون إلا على أغراضِها ، ولا يَقْتتِلون إلا على حُطامِها ! ولذلك يسقطون في الامتحانِ العظيم ، ويكون مصيرُهم الخُسرانُ المبينُ !

٥- وللوقايةِ من الاغترارِ بالدنيا يقارنُ القرآنُ الكريمُ بين قيمةِ الدنيا وقيمةِ الآخرة ، فيقولُ الحقُّ تبارك وتعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:١٤،١٥) في هذه الآيةِ الكريمةِ بيانٌ بأهمِّ مكوِّناتِ الدنيا التي تُغرِّر بها الإنسانَ . ثم يأتي بيانُ الآخرةِ وبيانُ قيمتِها الساميةِ التي تجعلُها أفضلَ من الدنيا آلافَ المراتِ . وفي آياتٍ أخرى يحدِّثُنا القرآنُ الكريمُ عن نعمِ اللهِ في الآخرةِ ، حيث لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خَطرَ على قلبِ بشرٍ . من ذلك - مثلاً - قولُه تعالى عن الفائزين في الآخرةِ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِى

﴿ جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية:٨-١٦) وفي سورة الواقعةِ وسورةِ الإنسانِ أوصافٌ أخرى عن النعيمِ المُقيمِ في جنةِ اللهِ في الآخرةِ . ونحن نقرأُ هذه الأوصافَ ونمرُّ عليها مُسرعين ، ونمضي في غرورنا بالدنيا ، إلا مَن رحمَ اللهُ تعالى . فعلينا أن نتوقَّف عند وصفِ الجنةِ ، لنعلمَ قيمةَ الآخرةِ ، وكيف أنها أسمى وأعظمُ من قيمةِ الدنيا . وعندئذٍ نستطيعُ بعَونِ اللهِ تعالى أن نتحصَّنَ ضدَ العدوِّ الخبيثِ ـ الشيطانِ ـ الذي يُغرِّر بالإنسانِ ويحاولُ إغواءَه لينسى الآخرةَ ، ويستغرقَ في الدنيا .

٦- ويكشفُ القرآنُ الكريمُ سببَ الغرورِ بالدنيا ، فيقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ (الانفطار:٦-٩) فهذا هو السببُ الأساسيُّ ، وما عداهُ حُجَجٌ باطلةٌ . والتكذيبُ بالدينِ يعني التكذيبَ بالبعثِ والحسابِ والجنةِ والنارِ . وعلى هذا يستغرقُ الإنسانُ في الدنيا ، لأنها عنده هي الحياةُ الوحيدة التي لا حياةَ بعدها! وهذا هو شأنُ الكفارِ اليومَ في العالمِ كلِّهِ . وأما الذين يُصدقون بالدينِ ، والبَعثِ والحياةِ الأُخرَويَّةِ ، فلا يمكنُ أن يغترُّوا بالدنيا .

٧- إن الدنيا لها أساليبُها للخداعِ ! فهي دنيا وتظهرُ للإنسانِ على أنها عُليا! وهي فانيةٌ وتظهرُ للإنسانِ على أنها باقيةٌ! وهي ليست بدارِ مُقامٍ أبَديٍّ ، وتظهرُ للإنسانِ على أنها كذلك . وهي امتحانٌ ولكنها تظهرُ للإنسانِ على أنها نهايةٌ وغايةٌ . الدنيا طريقٌ إلى غايةٍ ، ولكنها تظهرُ للإنسانِ على أنها هي الغايةُ ! ولكنِ المسلمَ المغرورَ ليس له حُجةٌ ، لأن اللهَ تعالى كشفَ له هذه الأساليبَ الدنيويةَ المُخادِعةَ ، ليعْلمَ أن الدارَ الآخرةَ هي العليا ، وهي الباقيةُ الخالدةُ ، وهي دارُ المُقامِ ، وهي الغايةُ والنهايةُ . نسألُ اللهَ تعالى أن يُنجينا من غرورِ الدنيا وأن يجعلَنا من الناجين الفالحين المُفلحين .

(الدعاء)

الولاية والأولياء

● **الغاية من الخطبة** : تصحيح الاعتقاد في الولاية والأولياء .

● **العناصر الأساسية** :

(١) مَن هم أولياءُ الله ؟ وما معنى الولاية ؟

(٢) والله تعالى وليُّ المؤمنين ؛ والملائكة أولياءُ المؤمنين .

(٣) والمؤمنون بعضهم أولياءُ بعض .

(٤) هل بوسعِ الأولياءِ خَرْقُ سُنَنِ اللهِ التي تحكمُ الكون ؟ وهل خَرَقها النبي ؟

(٥) مُعجزاتُ الأنبياء لكي يُصدقهم الناسُ ، وتكذيبُ الأوَّلين لها .

(٦) هل الولايةُ تُورَّثُ من أولياءِ اللهِ؟

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- قالَ تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (يونس:٦٢-٦٤) في هذه الآياتِ الكريماتِ ، وفي آياتٍ أخرى من كتابِ اللهِ تعالى يُبيِّنُ لنا ربُّنا أهمَّ صفاتِ أولياءِ اللهِ ، فإذا هي اثنتانِ جامعتانِ : الإيمانُ ، ثم التقوى ، والإيمانُ يتضمَّن الإيمانَ باللهِ تعالى وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ ، والقدَرِ خَيرِهِ وشرِّه . والتقوى تتضمنُ : العملَ بكلِّ ما أمرَ اللهُ ورسولُه ، والانتهاءَ عما نهى عنه اللهُ ورسولهُ ، طلباً لمرضاةِ اللهِ تعالى واتقاءً لغضبِهِ وعذابِه . فمَنْ آمنَ واتقى ، كان ولياً للهِ ورسولِه ، بقدْرِ إخلاصِه في الإيمانِ والعملِ ، وكان من الذين يُبشِّرُهم القرآنُ الكريمُ بالخيرِ والرِّضا من عِندِ اللهِ تعالى ، وذلك وعدٌ من اللهِ تعالى لا يتبدَّلُ ولا يُخلَفُ ، وهو الفوزُ العظيم ، الذي لا فوزَ أعظمُ منه . ومعنى هذا أن

ولايةَ اللهِ هي طاعتُه وتقواه من جانبِ المؤمن . فكلُّ مؤمنٍ مُطيعٍ للهِ تعالى هو وليٌّ من أولياءِ اللهِ الذين تحدَّثَ عنهم القرآنُ الكريمُ .

٢- واللهُ تعالى وليُّ المؤمنين ، كما أن المؤمنين أولياءُ اللهِ . فيقولُ اللهُ تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥٧) ومعنى هذا أن ولايةَ اللهِ للذين آمنوا هي الهدايةُ والإرشادُ والتوفيقُ لإخراجهم من الكفرِ إلى الإيمانِ ومن المعصيةِ إلى الطاعةِ . والطاغوتُ أو الشيطانُ هو وليُّ الذين كفروا يُخرجُهم من الإيمانِ إلى الكفرِ ومن الطاعةِ إلى المعصيةِ ؛ وهذه أسوأ ولايةٍ !

٣- والمؤمنون بعضهم أولياءُ بعض . فيقولُ اللهُ تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(الأنفال:٧٢) هنا الولايةُ معناها التأييدُ والنُّصرةُ ، لأنهم جميعاً أصحابُ رسالةٍ واحدةٍ ، في سبيلِها هاجَروا وجاهَدُوا ، وفي سبيلِها فتحَ إخوانُهم الأنصارُ بيوتَهم لهم ، وآوَوهم ، وقاتلوا الأعداءَ معهم ، صفاً واحداً ، حتى اختلطَتْ دِماءُ الشهداءِ منهم في أرضِ المعاركِ في سبيلِ اللهِ . فهذا أحدُ المعاني العظيمةِ الساميةِ للولاية .

٤- والملائكةُ أولياءُ للمؤمنين المتقين . يقولُ اللهُ تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (فصلت:٣٠،٣١) والولايةُ هنا هي البشارةُ بالجنةِ ، وإعلانُ النُّصرةِ للمؤمنين . وفي ذلك فرَحٌ عظيمٌ لكلِّ مؤمنٍ ، وطُمأنينةٌ لكلِّ مَن قالَ ربِّيَ اللهُ ثم استقامَ على الإيمانِ والطاعةِ .

٥- هذه هي معاني الولايةِ التي جاءت في القرآن الكريمِ . ويجبُ علينا أن نفهمَها الفهمَ الصحيحَ ، وأن نقفَ عندها ولا ننحرفَ عنها ، كما حدثَ لبعضِ

المسلمين للأسفِ الشديدِ ، أولئكَ الذين ظنوا أن أولياءَ اللهِ أشخاصٌ شواذٌ في عاداتِهم وتصرُّفاتِهم ، ولهم القدرةُ على خَرْقِ سُنن اللهِ في خلقِه ، حتى قالَ أحدُهم إنَّ وَليَّ اللهِ فلاناً الفلانيَّ - وذكرَ شيخاً معروفاً - مَرَّ يوماً بامرأةٍ فوجدَها تبكي . وسألها عن السببِ فقالتْ إن ابنَها الوحيدَ تُوفِّيَ . فصعِدَ الوليُّ إلى السماءِ ، ولحِقَ بعزرائيلَ ، وأخذَ منه السَّلةَ التي كانت معه وفيها أرواحُ الموتى في ذلك اليومِ ، وأعادها إلى الأرضِ ، ومن ضمْنِها رُوحُ ابنِ المرأةِ الحزينةِ ، فعادَتْ إليه الحياةُ ! ويتداولُ العَوَامُّ قصصاً كثيرةً كهذه عن أولياءِ اللهِ ، ومنهم أصحابُ الخَطوَةِ وهم الذين ينتقلون من بلادِهم البعيدةِ إلى مكةَ المكرمةِ والمدينةِ المنورةِ للصلاةِ ، ثم يعودون بخطوَةٍ واحدةٍ ! ومنهم الذين يوجَدون في مكانيْن اثنيْن في وقتٍ واحدٍ! وليسَ في القرآنِ الكريمِ شيءٌ يُشيرُ إلى مثلِ هذه المُعجزاتِ وخوارقِ العاداتِ عند أولياءِ اللهِ . والمعروفُ أن أولادَ رسولِ اللهِ ﷺ ماتوا جميعاً في حياتِه باستثناءِ فاطمةَ ﷺ ، ولم يمنعْ عزرائيلَ من قبضِ أرواحِهم ، ولم يُعِدْ إليهم الحياةَ ! وماتَ جميعُ الرُّسلِ حين جاءَ أجلُهم . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ (الأنعام:٦١،٦٢) وكان رسولُ اللهِ ﷺ يسافرُ راكباً ناقتَه للعُمرةِ والحجِّ والجهادِ في سبيلِ اللهِ . وكان سفرُه أحياناً يمتدُّ شهوراً ذهاباً وإياباً عَبْرَ الصحاري والجبالِ والسهولِ . وكان سفراً شاقاً أعظمَ مشقةً فلم يُذكَرْ أنه ﷺ انتقلَ بخطوَةٍ واحدةٍ من المدينةِ إلى مكة ، أو من مكة إلى المدينةِ باستثناءِ الإسراءِ والمِعراجِ ، وهي معجزةٌ عظيمةٌ لنبيٍّ عظيم. أما حياتُه اليوميةُ فكانت تسيرُ بحسبِ سُننِ اللهِ تعالى في الكونِ. وأما الخلفاءُ الراشدون وكبارُ الصحابةِ ﷺ فلم يطيروا في السماءِ ، ولم يخرقوا سُنن اللهِ تعالى في حياتِهم العاديةِ . وقد طلبَ المشركون العَربَ المعجزاتِ من النبي ﷺ ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الإسراء:٩٠-٩٣) فأمرَه اللهُ تعالى بأن ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء:٩٣) وقالَ تعالى أيضاً : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ (الإسراء:٥٩) فكيف يُقالُ إن أولياءَ اللهِ لهم كراماتٌ لم تكنْ للنبيِّ ﷺ ؟ وكيف تكونُ لهم كراماتٌ لم يكنْ للخلفاءِ الراشدينَ وكبارِ الصحابةِ مثلُها؟ ونحنُ نرى أولياءَ اللهِ يمرضون ويموتون وأولادُهم يمرضون ويموتون فلا يستطيعُ الواحدُ منهم أن يمنعَ المرضَ أو المَوتَ عن نفسِه أو عن ولدِه .

٦- وأما معجزاتُ الأنبياءِ عليهم صلاةُ اللهِ وسلامُه فكانت تصديقاً أو تأييداً للنبيِّ لكي يُصدِّقَه قومُه . ولم تكنْ دائمة . مثلاً لم يكنْ عيسى عليه السلام يخلقُ من الطينِ طيراً بصفةٍ دائمةٍ طَوَالَ حياتِه ، بل هي مرَّة أو مرتين . ولم يكنْ يُحيي الموتى جميعاً ، فكلما ماتَ إنسانٌ أحياه! كلا ، لم يكنْ الأمرُ كذلك . فالمُعجزات ليست خَرْقاً دائماً لسُننِ اللهِ تعالى في خَلقِه ، بل هي لحَظاتٌ ثم تعودُ السُّننُ إلى الاطِّرادِ .

٧- والولايةُ لا تورَّث . فالرجلُ المؤمنُ التقيُّ هو من أولياءِ اللهِ . وابنُه ربما يكونُ من أولياءِ اللهِ إذا آمنَ واتقَى . وربما لا يكونُ مؤمناً ولا تقياً . فالولايةُ بالعملِ لا بالميراثِ . ولكنَّ العَوَامَّ يعتقدون خطأً بأنها تُورَّثُ ، ويُصرُّون على ذلك !

٨- وأنت أيها المسلمُ تستطيعُ أن تكونَ من أولياءِ اللهِ تعالى إذا أخلَصْتَ إيمانَك باللهِ تعالى واتَّقيتَه حقَّ تقواهُ . فالولايةُ ليستْ حِكراً على أحدٍ . والمسلمون يتفاوتون في قوَّةِ الإيمانِ وفي التقوى والطاعاتِ ، ولذلك تتفاوتُ درَجتُهم في الولايةِ للهِ . نسألُ اللهَ تعالى أن يثبِّتَ إيمانَنا ويزيدَه قوَّةً ، وأن يوفقنا إلى طاعتِه وتقواه ، لكي نستحقَّ أن نكونَ من أولياءِ اللهِ تعالى الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (يونس:٦٢-٦٤) .

(الدعاء)

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

● **الغاية من الخطبة** : بيان إعجاز القرآن الكريم .

● **العناصر الأساسية** :

(١) القرآن تحدَّى بُلغَاءَ العرب أن يأتوا بسورة من مثْله فعَجَزوا .

(٢) القرآن نزلَ على نبيٍّ أُمِّي لم يسبِق له أن تعلَّم الكتابة .

(٣) معجزة الإخبار عن الماضي .

(٤) معجزة الإخبارِ بالمستقبل .

(٥) البراءةُ من التناقض والاختلاف .

(٦) الإعجازُ التشريعي .

(٧) الإعجازُ العلمي .

(٨) يجب إحباطُ محاولاتِ هَجْرِ القرآن الكريم .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٣، ٢٤) هكذا تحدَّى القرآنُ الكريمُ بُلَغَاءَ العربِ وحُكماءَهم ، فطلبَ إليهم أن يأتوا بسُورةٍ واحدَةٍ فقط تُماثِلُ سورةً أو تتفوَّقُ عليها . والسورةُ كما نعلمُ قد تكونُ قصيرةً جداً ، كسورةِ الكوثرِ التي لا تتجاوزُ عَشرَ كلماتٍ! وقد اجتمعوا وتآمروا وفكروا وفشِلوا . وعلى امتدادِ العصورِ لم يستطعْ أحدٌ أن يؤلِّفَ سورةً مثلَ سُوَرِ القرآنِ الكريمِ . وكانت آخرُ المُحاولاتِ في «الإنترنت!» ـ الشبكة الدولية للاتصالات ـ حيث حاولتْ جهاتٌ مَشبوهةٌ معاديةٌ للإسلامِ أن تؤلِّفَ كلاماً

لتقليدِ القرآنِ الكريمِ ، فكانت مُحاولاتهم فاشلةً وجاءَ كلامُهم فارغاً مُضحكاً ، ولم يَفُزْ بأي تقديرٍ أو احترامٍ ، فاضطروا مَخذولين إلى مَحْوِهِ من مواقِعِهم في الشبكةِ ! وهذا هو ما يُسمَّى الإعجازُ البلاغيُّ ، وهو دليلٌ على أن القرآنَ الكريمَ ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة:٨٠) لم يؤلِّفْه بَشَرٌ ولم يخترعْهُ إنسانٌ . وقد آمنَ المسلمون وأيقنوا بصدْقِ هذه الآيةِ الكريمةِ .

٢- وازْدادَ يقينُ المسلمين بأن القرآنَ الكريمَ ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأنه نزلَ على رجلٍ أُميٍّ لا يكتبُ ولا يقرأُ ، ولم يسبقْ له أن دخلَ مدرسةً أو معهداً أو اقتنى كتُباً من أيِّ نَوع . فيقولُ اللهُ تباركَ وتعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٨) وكان أهلُ مكةَ يعرفون كلَّ شيءٍ عن حياةِ النبيِّ الكريمِ ﷺ ويعرفون أنه لم يكتبْ ولم يقرأ ولم يتعلَّمْ على يَدَيْ معلِّمٍ ، فتضاعَفَ إيمانُ المؤمنين بأن القرآنَ الكريمَ : ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ بل إن النبيَّ ﷺ لم يكنْ ينتظرُ نزولَ كتابٍ من السماءِ على قلبِهِ ؛ وهذا هو ما يقرِّرُه القرآنُ في قولِه تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (القصص:٨٦) وقد بلغَ التحدِّي ذِروتَه حين نزلَ قولُ اللهُ تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨) ومرَّتْ السنونَ والقرونُ ، ولم يستطعْ أحدٌ أن يأتيَ بسورةٍ من مثلِ القرآنِ الكريمِ .

٣- والقرآنُ الكريمُ أخبرَ النبيَّ ﷺ عن الماضي الذي لم يكنْ معروفاً له ولا لقومِه . وهذه مُعجزَةٌ أخرى تُثبتُ أنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فقصَّ قصصَ الأنبياءِ من آدمَ عليه السلام إلى نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ، وغيرهم ، عليهم جميعاً صلاةُ اللهِ وسلامُه . ولم تردْ في أخبارِ القرآنِ عن الماضي أخطاءٌ ، كما وردَ في التوراةِ من أخطاءٍ عن نوحٍ عليه السلام ـ مثلاً .

٤- وتنبأ القرآنُ الكريمُ بأحداثٍ لم تكنْ قد وقعَتْ ، ولا يُحتمَلُ أن تقعَ ! مثالُ ذلك انتصارُ الرُّومِ على الفرسِ . وكانَ الفُرْسُ أقوى كثيراً من الروم . والأرجحُ أن

تكونَ لهم الغَلَبَةُ مُدةً طويلةً من الزمان . فقالَ تعالى ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (الروم:٢-٤) وقد تحققتْ نبوءةُ القرآن الكريمِ ، وكانت معجزةً أكدتْ للناسِ أن هذا الكتابَ الكريمَ ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وتنبَّأ القرآنُ بأن المسلمين سيدخلون المسجدَ الحرامَ آمنينَ غيرَ خائفين ، بعد أن صَدَّهم المشركون عنه يومَ الحُدَيبيَةِ ، فعادوا إلى المدينةِ دون أن يُؤدوا العُمرةَ . قالَ تعالى ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ (الفتح:٢٧) وقد تحققتْ نبوءةُ القرآنِ الكريمِ ودخلَ المسلمونَ المسجدَ الحرامَ آمنينَ مُحلِّقينَ رؤوسَهم ومُقصِّرينَ . وتنبَّأ القرآنُ بنصرِ المؤمنين والتمكينِ لهم والأمْنِ من بعدِ الخوفِ ، فقال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ (النور:٥٥) وتحققتْ هذه النبوءةُ وهذا الوَعْدُ ، وأصبحَ المسلمون سَادَةَ الدنيا ، ومَكَّنَ اللهُ للإسلامِ في الحجازِ واليمنِ والشامِ والعراقِ ومِصرَ وفارسَ ، في مُدةٍ لا تزيدُ على عشرين عاماً .

٥- ومن المعلومِ للكافَّةِ أن أيَّ مؤلَّفٍ بَشريٍّ ينطوي على تناقضاتٍ . بل إن المقالَ الواحدَ الذي لا يزيدُ على سُطورٍ محدودةٍ تقعُ فيه تناقضاتٌ ! ولكنَّ القرآنَ الكريمَ ليس فيه تناقضاتٌ أو اختلافاتٌ . قال تعالى ﴿ . . . وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ (النساء:٨٢) وقد بحثَ أعداءُ الإسلامِ عن أيَّةِ تناقضاتٍ أو اختلافاتٍ ليشككوا المسلمين في كتابِهم ، ولا يزالون يبحثون ، فلم يجدوا شيئاً ! فهذا وجهٌ مِن أوْجُهِ الإعجازِ ، يُؤكدُ لكلِّ مُنصِفٍ أنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

٦- وقد جاءَ القرآنُ الكريمُ بتشريعاتٍ تُحققُ العدالةَ بين البشرِ على أكملِ صورةٍ ، وبذلك ارْتفعَ بالبشريةِ إلى أسمَى الدرجاتِ ، فلا ظلمَ ولا عُنصُريَّةَ تنحازُ

إلى العربِ أو المسلمين على حسابِ غيرِ المسلمين . والقاعِدةُ القرآنيةُ تقولُ ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٨،٣٩) ولذلك تمتعَ اليهودُ والنصارى الذين عاشوا بين المسلمين بالعدالةِ ، ولم يلْحَقْهم ظلمٌ . وهذا إعجازٌ ، لأن الأُممَ السابقةَ كانت تَعدِلُ بين أبنائها ، لكنها كانت تنحازُ ضدَّ الغُرباءِ أو الذين لا ينتسِبون إليها . وهذا التحيُّزُ لا يزالُ ملحوظاً لدى الدولِ التي تُسمِّي نفسَها راقيةً أو مُتقدمَةً !!

٧- ومع تقدُّمِ العلومِ الماديةِ في العصورِ الحديثةِ اكتشفَ العلماءُ أنها تقررُ أشياءً عديدةً بيَّنها القرآنُ الكريمُ يومَ نزولِه : عن خلْقِ الأرضِ ، والشمسِ والقمرِ والإنسانِ والحيوانِ والبحارِ والأنهارِ والزرعِ . وهذا إعجازٌ عظيمٌ ، يُثبتُ أن القرآنَ الكريمَ ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وأنه يستحيلُ أن يكتبَه بَشَرٌ .

٨- لكنَّ الاستعمارَ الذي سيطرَ على بلادِ المسلمين مُدةً طويلةً سَعَى لكي يُشككَ المسلمين في دينِهم وقرآنِهم ، لكي يَهجروهُ ، بزَعْمِ أنه « قديمٌ !! » ولا يصلحُ لهذا العصرِ ، وسَعى أعداءُ الإسلامِ لإحلالِ شرائعَ بَشريَّةٍ مَحَلَّ الشريعةِ الإسلاميةِ ؛ وواجبُنا أن نتمسَّكَ بكتابِ ربِّنا ونُطَبِّقَهُ بأقصَى ما نستطيعُ من الالتزامِ . وشهرُ رمضانَ المُعظمَ فرصةٌ عظيمةٌ لدراسةِ القرآنِ وفَهمِهِ والتدرُّبِ على العملِ به في كلِّ ناحيةٍ من نواحي حياتِنا . واللهُ يُوفقُنا .

(الدعاء)

يَوْمَ بَدْر

● **الغاية من الخطبة** : بيان أن النصر يومَ بَدْرٍ يمكنُ أن يتكرر اليوم بشروط .

● **العناصر الأساسية** :

(١) معركة بَدْرٍ وقعتْ بتدبير اللهِ تعالى . أين مكانُ بَدْر؟ ومتى وقعت ؟
(٢) الإمدادُ بالملائكة يمكن أن يحدث اليوم وغداً .
(٣) العَفوُ عن بعضِ الأسْرى ورفضِ العفوِ عن اثنيْن . . . لماذا ؟
(٤) معجزة الإخبارِ بالمستقبل .
(٥) أصولُ النصر على الأعداءِ .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الأنفال:٥-٧) هذه الآياتُ الكريماتُ تتحدثُ عن بعضِ حقائقِ «معركةِ بَدْر» . تلك المعركةُ العظيمةُ التي تُعتبَرُ أوَّلَ نصْرٍ كبيرٍ للأمَّةِ المسلمةِ الصغيرةِ العَدَدِ ، التي نشأتْ في المدينةِ المُنوَّرةِ بقيادةِ النبيِّ ﷺ . وأحداثُ معركةِ بَدْرٍ عَامرَةٌ بالدروسِ المفيدةِ لنا اليومَ في جهادِنا ضد أعداءِ الإسلامِ والمسلمين في كلِّ مكان . فلْنحاولْ معرفةَ ما يتيسَّرُ لنا من ذلك ، واللهُ الموفقُ .

- وأعظمُ الدروسِ فيها أنها وقعَتْ بتدبيرِ اللهِ تعالى وإرشادِهِ ومَعونتِهِ . فقد كان المؤمنون كارهون للقتالِ ، كما تقولُ الآيةُ الكريمةُ . وسببُ ذلك أنهم خرجوا لاعتراضِ قافلةٍ تجاريةٍ لقرَيْشٍ ، لا لقتالِ جَيشٍ ! ولم يكونوا قد اتخذوا

الاستعداداتِ القُصْوى لذلك . فلم يكنْ لديهم سوى ثلاثة جيادٍ ؛ وسَبعين بَعيراً ، وكان عددُهم ٣١٩ رجلاً ، فكان البعضُ يركبُ والبعضُ يمشي ؛ وكان عدد المشركين ألفَ رَجلٍ ، أي ثلاثةُ أضعافِ عَددِ المسلمين ، وقد جاءوا للحربِ والقتال . وكان على المسلمين أن يسيروا مَسافةَ مائةَ كيلو متر تقريباً من المدينةِ إلى مكان «بَدر». وكانوا في شهرِ رمضانَ المباركِ ، فمنهم مَن أفطرَ ومنهم مَن صامَ نظراً لاختلافِ الأفرادِ قوةً وضعْفاً . وكانت الدولةُ المسلمةُ في مُنتصفِ السنةِ الثانيةِ للهجرةِ . أي أنَّ الدولةَ الناشئةَ لم تكنْ قد استقرَّتْ ونظَّمَتْ جيشها عُدَّةً وعَدَداً . كانت دولةً وليدةً !

- لكنَّ اللهَ وَعدَهم بالنصرِ ! وهذا يكفي لتبديدِ كلِّ مَخاوفِهم . فاللهُ ﷻ لا يُخلِفُ الميعادِ ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١٢٦).

٢- واستغاثَ المسلمون ربَّهم ، فاستجابَ لهم ، وأمدَّهم بألفٍ من الملائكةِ مُرْدِفين . ولكنَّ المؤمنين هم الذين قاتلُوا المشركين ؛ وقد قُتِلَ منهم ستَّةٌ من المهاجرين ، وثمانيةٌ من الأنصارِ من أهلِ المدينةِ . وكان دَوْرُ الملائكةِ هو على الأرجحِ تثبيتُ المؤمنين ، كما تقولُ الآيةُ الكريمةُ ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال:١٢) والأرجحُ أن الأمرَ بالضربِ فوقَ الأعناقِ هو أمرٌ للمؤمنين ، لا للملائكةِ ، وكذلك الأمرُ بضربِ كلَّ بَنانٍ منهم . لأنه لوْ كانَ هذان الأمران للملائكةِ لقُتِلَ جميعُ المشركين ، فكلُّ مَلاكٍ لا بدَّ أن يقتلَ مشركاً طاعةً للأمرَيْنِ الإلهيْين ؛ لكنَّ قتلَى المشركين كان عَددُهم سبْعون قتيلاً فقط ، ونجا من القتلِ تسعمائةٌ وثلاثون ، أُسِرَ منهم سَبعون رجلاً ، وعادَ إلى مكةَ ثمانمائةٌ وستون رجلاً . وكتُبُ السيرةِ تذكرُ لنا اسْمَ القتيلِ المُشركِ واسْمَ قاتِلِهِ المسلمِ . ولهذا كان قدْرُ أهلِ بَدْرٍ عِندَ اللهِ عظيماً .

٣- ونحن اليومَ نستطيعُ أن نفوزَ بعَوْنِ الملائكةِ إذا قاتلْنا في سبيلِ اللهِ وليس في سبيلِ أيِّ شيءٍ آخرَ . وعلى امتدادِ تاريخِ أمتِنا المجيدِ نصرَنا اللهُ تعالى بعَوْنِهِ

وتأييدِهِ : انتصرنا في مَعَارك اليَرموك والقادسيَّةِ ونِهَاوَنْدْ في عَهدِ الراشدين . وانتصرْنا في معركةِ حِطِّينَ سنة ١١٨٧م بقيادةِ البطلِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ ضد الصليبيين بقيادةِ ملوكِ أوربا وأمرائها . وانتصرنا ضد الفرنسيين تحت قيادة البطلِ الأميرِ عبد القادرِ الجزائريِّ في القرنِ الـ ١٩ . وجاهد البطلُ عمرُ المُختارُ في ليبيا ضد إيطاليا حتى استُشهد ؛ وانتصرَ البطلُ عبدُ الكريمِ الخطابيُّ على جيوشِ إسبانيا سنة ١٩٢١م وقتلَ من الإسبانِ عشرين ألفاً ! وانتصرْنا نحن المصريين على جيوشِ فرنسا في نهاية القرنِ الثامنِ عشر . وانهزمتْ فرنسا أمامَ جهادِ الجزائريين سنة ١٩٦٢م وانهزمَ الاتحادُ السُّوفيتيُّ في أفغانستان سنة ١٩٨٩م ، ثم انهارَ بسببِ ذلك!

٤- ومن دروسِ غزوةِ بَدْرٍ الكبرى نتعلمُ تطبيقَ النبيِّ ﷺ لفضيلةِ العَفوِ . فقد عَفا عن عَددٍ كبيرٍ من الأسْرى بفدْيةٍ ، وبغيْرِ فِـدْيةٍ ، لكنه حَكمَ بإعدامِ اثنيْـن من مُجرمي الحربِ الكبارِ ورَفضَ العفوَ عنهما - وهما النَّـضْـرُ بن الحارثِ وعُـقْـبَةُ ابنُ أبي مُعَيْطٍ ، على الرغمِ من توسُّـلاتِهما ودُموعِـهما . وسَببُ ذلك فداحَةُ الجرائمِ التي اقترَفاها في حقِّ النبيِّ ﷺ وفي حقِّ المسلمين في مكةَ . وقد كان المشركون يفكرون في العودةِ إلى مكةَ دونَ حربٍ بعدَ أن عَلِموا أن القافلةَ التجاريةَ قد نجَتْ ووصلَتْ سالمةً إلى مكة ، لكن «عُقْبَةَ» و«النضْرَ» رَفضَا العَوْدَةَ ، وأصرَّا على حَرْبِ المسلمين وحرَّضا المشركين على ذلك ، وكانت غايتُهما استئصالَ النبيِّ والمسلمين من المدينةِ ، والقضاءَ على الإسلامِ والمسلمينَ ، فاعْتُبِرا مُجرمي حَربٍ ، لا مجرَّدَ أسْرى ، وحكمَ النبيُّ ﷺ بإعدامِهما ، دونَ سائرِ الأسْرى . والعفوُ فضيلةٌ عظيمةٌ ، والرسولُ ﷺ يقولُ : «تعافَوْا تسْقُطُ الضَّغائنُ بينكم» فلا أحدَ يستطيعُ أن يتجنَّبَ الإساءةَ إلى الناسِ تجنُّباً تاماً ، و«كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ» ، وعِلاجُ ذلك أن يُبادِرَ المسيءُ إلى الاعترافِ بإساءَتِـهِ ، والاعتذارِ لأخيهِ عنها ، وطلَـبِ العفوِ عنها . فعِندئذٍ يحقُّ له أن يفوزَ بعَفوِ أخيهِ ، خصوصاً إذا لم يكنْ من أولئك الذين يُدمنون الإساءَةَ إلى إخوانِهم . أمَّا إذا رفضَ المُسيءُ الاعترافَ بإساءَتِهِ ، ورفضَ الاعتذارَ عنها ، فإنه لا يستحقُّ العفوَ ولا الصَّفحَ .

٥- ومن دروسِ غزوةِ بَدرٍ وسائرِ غزْواتِ النبي ﷺ تَبَيَّنَ لنا بوضوحٍ أُصولُ النصرِ على الأعداءِ : وأوَّلُ هذه الأصول أن يكونَ قتالُنا في سبيلِ اللهِ تعالى ، لقولهِ ﷻ ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠) والأصلُ الثاني أن تتَّحِدَ الأمةُ المسلمةُ وتقفَ شعوبُها وحكوماتُها معاً ، كما حدثَ في العاشرِ من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ . وتزدادُ أهميةُ الوحدةِ الآنَ لأنَّ العدوَّ الصهيونيَّ يتحدُ مع الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية في حِلْفٍ استراتيجيٍّ . والعالمُ كلُّه يتكتَّلُ ويتَّحدُ ، كما نرى في أوربا وأمريكا . والأصلُ الثالثُ هو إعدادُ القوةِ ، واللهُ تعالى يأمرُنا بذلك فيقولُ ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠) فإذا كانت هناك دولةٌ مسلمةٌ تستطيعُ أن تصنعَ السِّلاحَ الذريَّ كان عليها واجبُ صُنعِهِ . وإذا لم تفعَلْ كانت آثمةً ، لأنَّ العدوَّ الصهيونيَّ يملكُ ذلك السلاحَ ويُهدِّدُنا بهِ ليلَ نهارا! والأصلُ الرابعُ هو الشورى في السياسةِ والحربِ ، وفي كلِّ شئونِنا . فلا مجالَ في الإسلامِ للاستبدادِ والانفرادِ بالقراراتِ السياسيةِ والحربيةِ ، لأنه يُؤدِّي إلى الهزيمةِ والفشلِ الذريعِ !

هذه بعضُ الدروسِ المهمةِ التي نتعلَّمها من معركةِ «بدرٍ الكبرى» ومن المعاركِ الحربيةِ العديدةِ التي فُرِضَتْ على الأمةِ المسلمةِ . وهي تشهدُ بأننا نستطيعُ أن نحررَ أرضَ فلسطين من دَنَسِ الصهاينةِ ، وأن نحميَ أمَّتنا المسلمةَ في كلِّ مكانٍ من الطامعين فيها وفي خيراتِها وأراضيها وشواطئِها . وسَوفَ يُعيننا اللهُ تعالى إذا نحن أطعْناهُ ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠)

(الدعاء)

تَصحيح مَفاهِيمَ وشرح نُصوصٍ رمضانية

● **الغاية من الخطبة** : تصحيح مفاهيم شائعة خاطئة بشرح النصوص التي تُتخذ منها .

● **العناصر الأساسية** :

(١) قيمة الصيام عند الله تعالى .

(٢) وإخلاص النيَّـة للهِ تعالى وعَقـدُها قبل الفجر .

(٣) حُـكم المرضِ والسفرِ والقضاءِ .

(٤) حُـكم الجِـماعِ في نهارِ رمضانَ وفي ليلِـهِ .

(٥) حُـكم الأكلِ والشربِ في نهارِ رمضان ناسياً .

(٦) حُـكم القيء .

(٧) صيامُ الأطفالِ الذين لم يبلغوا الحُلُـم ، والشيوخِ كبارِ السِّـنِّ ، والحواملِ والمرضعاتِ .

(٨) سُنَّـة الاعتكافِ .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- قيمةُ الصيامِ عند اللهِ عظيمةٌ جداً . هذه حقيقةٌ دينيةٌ شرعيةٌ لا يرْتابُ فيها مسلمٌ . وفي هذا يقولُ الرسولُ الكريمُ ﷺ : «الصيامُ جُنَّةٌ ، فإذا كان أحدُكم صائماً فلا يرفُثُ ، ولا يَجهلُ . فإن امْرُؤٌ قاتَلَهُ أو شاتَمَهُ ، فلْيَقلْ إني صائمٌ مرَّتين . والذي نَفسُ محمدٍ بيدِهِ لَخَلُوفُ فَمِ الصائمِ أطيبُ عند اللهِ مِن ريحِ المِسْكِ» . وقالَ ﷺ ، يقولُ اللهُ تعالى في حَديثٍ قُدسيٍّ إن الصائم «يَترُكُ طعَامَهُ وشرابَهُ وشهوَتَهُ من أجلي . الصيامُ لي وأنا أجْزي بِه . والحَسَنَةُ بعَشْرَةِ أمثالِها» فالصيامُ جُنَّةٌ ، أيْ هو

وقايَةٌ من الذنوبِ التي اعْتاد البعضُ على اقترافِها في غيرِ رمضانَ المبارَك . وهذا هو الصيامُ الصحيحُ . لكن قلَّةً من الصائمين لا يقيها الصيامُ للأسفِ من اقترافِ الآثامِ ، وهم الذين قالَ فيهم رسولُ اللهِ ﷺ إنه ليس لهم من صيامِهم إلا الجوعُ! لأنه ليس صياماً صحيحاً . فهذا أحَدُ المفاهيمِ الخاطئةِ التي نريدُ تصحيحَها .

- والحديثُ الشريفُ يشيرُ إلى عَظمَةِ الصيامِ بقولِه إنَّ خَلُوفَ فَمِ الصائمِ أطْيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسْكِ ، وبقولِهِ أيضاً : الصيامُ لي وأنا أجزي به . ويقعُ الخطأ في فهمِ هذه العبارَةِ الأخيرةِ ، فيظنُّ البعضُ أن العباداتِ الأخرى كالصلاةِ والزكاةِ والحَجِّ ، ليست للهِ ! ومن الجليِّ أن كلَّ عَملٍ صالح هو للهِ تعالى ، وأنه ﷻ يجْزي كلَّ عاملٍ الجزاءَ المُستحَقَّ طالما أنه قد توجَّهَ بعَملِه للهِ تعالى وَحدَهُ . والحديثُ يشيرُ إلى القيمةِ الكبرى لصيامِ رمضانَ ، ومن الخطأِ أن نفهمَ منه أنَّ قيمةَ الصيامِ أكبرُ من قيمةِ الصلاةِ والزكاةِ ! أو أنَّ الصيامَ للهِ ، والعباداتِ الأخرى ليست للهِ ! أو أنَّ اللهَ يجْزي بالصيامِ ، ولا يجْزي بغيرِهِ من العباداتِ! فكلُّ العباداتِ للهِ تعالى ، وهو سبحانه يجْزي العبادَ على كلِّ عملٍ صالحٍ ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ** ﴾ (الزلزلة:٧)

٢- وشرطُ قَبولِ الصيامِ - وكلِّ عَملٍ صالحٍ - هو إخلاصُ النيَّةِ للهِ تعالى . وفي هذا يقولُ الرسولُ ﷺ :«مَنْ صامَ رمضانَ إيماناً واحْتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه» . ومعنى هذا الحديثِ - واللهُ تعالى أعلمُ - أنَّ الصيامَ يَغفِرُ الذنوبَ إذا أدَّاه العَبدُ بإخلاصٍ تامٍ للهِ تعالى . فهو يصومُ لنَيْلِ مَرْضاةِ اللهِ تعالى لا مُطاوَعَةً للمجتمعِ أو خَوفاً من الأُسْرةِ . ولا بدَّ للمسلمِ أن يعْقِدَ نيَّتَهُ على الصيامِ في رمضانَ قَبْلَ الفجرِ ، ولا يُشتَرَطُ أن يتلفَّظَ الصائمُ بالنيةِ ويقولَ : نوَيْتُ الصيامَ غداً من شهرِ رمضانَ إيماناً واحتساباً لوجْهِ اللهِ الكريمِ (كما اعتادَ البعضُ أن يقولَ) . فالواجبُ هو التوجُّهُ القلبيُّ للهِ تعالى ، لا أحدٍ سِواهُ . وللفقهاءِ في إيقاعِ النيَّةِ مذاهِبُ ، ومتى يجبُ أن تقعَ ، وهل يجبُ أن تُعْقدَ كلَّ يومٍ ، وهل يجبُ أن تقعَ قبلَ الفجرِ . فعندَ الشافعيِّ تُجزئُ النيَّةُ بعدَ الفجرِ ، في صيامِ التطوُّعِ ولا تُجزئُ

في صيامِ رمضانَ وصيامِ النذرِ إلا قبلَ الفجرِ ، لقولِ النبيِّ ﷺ : «مَن لم يُبيِّتِ الصيامَ مِن الليلِ فلا صيامَ له» . والتَّبييتُ هو عَقْدُ النيَّةِ ، وأفضلُ وَقتٍ له عَقِبَ السُّحورِ الأولِ لليومِ الأولِ من رمضان .

٣- وللمُسافرِ والمريضِ أن يُفطِرا لقولِ اللهِ تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة:١٨٤) والفهمُ الخاطئُ هنا أساسُه عَدَمُ التمييزِ بين السَّفرِ الشاقِّ وغيرِ الشاقِّ ، وبين حالاتِ الأفرادِ المسافرين ، من حيثُ القوةِ والقدرةِ على الاحتمال ، وذلك هو فقهُ الحالِ الذي مارَسَه النبيُّ ﷺ حتى قال : «ليسَ من البرِّ الصيامُ في السَّفر». وذلك للأفرادِ الضعفاءِ ، وفي السفرِ الشاقِ . وأما السفرُ اليسيرُ فالأفضلُ الصومُ فيه لمن يَقدِرُ على الصومِ . وكلُّ مسلمٍ فقيهُ نَفسِه في ذلك ، لأنه هو أعرفُ بنفسِه وقوةِ احتمالِه ، وغيرِ ذلك من الحالاتِ الفرديةِ . وحُكمُ المرضِ يحتاجُ إلى فقهِ الحالِ أيضاً . لأنَّ بعضَ الأمراضِ لا يَسمحُ للمسلمِ أن يصومَ ، من الضعفِ الذي يَسْفرُ عنه ، والحاجَةِ الماسَّةِ للطعامِ والدواءِ . وبعضُ الأمراضِ خفيفٌ جداً ، أو لا يتأثرُ بالصيامِ ، فلا يضطرُّ المرءُ إلى الإفطارِ بسببِه . وكلُّ مسلمٍ فقيهُ نفسِه في ذلك ، مع الاسترشادِ برأيِ الطبيبِ المُعالجِ . وكان الصحابةُ يسافرون فيصومُ بعضُهم ويُفطِرُ بعضُهم ولا يلومُ بعضُهم بَعضاً . وهذا هو الفَهمُ الصحيحُ لنَصِّ الآيةِ الكريمةِ ، وللحديثِ الشريفِ ، وأعمالِ النبيِ وصحابتِه . وهو الفَهمُ الصحيحُ الذي يجبُ علينا اعتقادُه . ومَن أفطرَ فعليهِ القضاءُ بعد الشِفاءِ من المرضِ .

٤- ويُجيزُ القرآنُ الكريمُ للمسلمين مُعاشَرَةَ أزواجهم في ليلِ رمضانَ ، ويُحرِّمُها عليهم في أثناءِ الصيامِ ، فيقولُ الحقُّ تبارك وتعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(البقرة:١٨٧) أما في أثناءِ الصيامِ فهو حَرَامٌ قولاً واحداً .

٥- ويقولُ الرسولُ ﷺ : «مَن نَسيَ وهو صائمٌ فأكلَ أو شَربَ فلْيتمَّ صَومَه ، فإنما أطعَمَهُ اللهُ وسَقاهُ» . ولكن من الواجبِ الحَذرُ في الأيامِ الأولى من رمضان ، قبلَ التعوُّدُ على الصيامِ .

٦- وقال ﷺ : «مَن ذَرَعَهُ القَيءُ فليسَ عليهِ قضاءٌ . ومَن استَقاءَ عَمْداً فليَقضِ». يعني مَن استَقاءَ بغيرِ إرادتِه فليس عليه قضاءٌ ، فإن عَمَدَ إلى ذلك عَمْداً كان عليه القضاءُ .

٧- واللهُ تعالى يريدُ بنا اليُسْرَ في كلِّ واجباتِنا ، فالأولادُ الصغارُ ليس عليهم صومٌ واجبٌ إلا عندما يبلغون الحُلُمَ ؛ وقبلَ ذلك يصومون للتدريبِ ، مع مُراعاةِ صحةِ كلِّ طفلٍ وقدرَتِه على الصومِ دون إلحاق ضرر بصحتِه . والشيوخُ رَخَّصَ لهم القرآنُ الكريمُ في الإفطارِ فقال تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (البقرة: ١٨٤) فالشيخُ يُفطرُ ويُطعمُ مِسكيناً عن كلِّ يومٍ ، وكذلك المرأةُ العجوزُ . والحواملُ والمُرضِعاتُ يُفطِرْنَ ؛ وفي قضائهنَّ مَذهبان : يقضينَ ويُفدينَ ؛ أو يُفدينَ ولا يقضين .

ومن السُّننِ التي يجبُ إحياؤها الاعتكافُ في العَشرِ الأواخرِ من رمضانَ . والاعتكافُ هو مُلازَمَةُ المسجدِ ، يوماً وليلةً على الأقلِّ ؛ ويُفضَّلُ قضاءَ الوقتِ في الصلاةِ وتلاوةِ القرآنِ الكريمِ ودراسةِ العلومِ الإسلاميةِ . وللمُعْتكفِ أن يأكلَ ويشربَ وينامَ في المسجدِ ، وله أن يُحضِرَ معه بعضَ الفِراشِ والغِطاءِ الضروري .

(الدعاء)

التَّخْليَةُ والتَّحْليةُ في صيام رمضان المبارك

● **الغاية من الخطبة** : بيان حقيقة الصوم وكيف ينبغي أن يكون .

● **العناصر الأساسية** :

(١) التخـلية ، أو الابتعاد عن المعاصي .

(٢) التحـلية ، أو ممارسةُ الأعمالِ الصالحة .

(أ) صلاة القيام والتهجُّـد ، وإتقان الفروضِ الخمسة .

(ب) وقراءة القرآن الكريم وحفظه والعمل به بعد تدبُّره .

(جـ) أداء الأعمال اليومية .

(د) توطيد العلاقات .

(هـ) الإنفاق المالي .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ اللهُ تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣). في هذه الآيةِ الكريمةِ يُعلنُ القرآنُ الكريمُ أن الصيامَ قد فُرضَ على المسلمين المؤمنين كما فُرضَ على المؤمنين من أتباعِ الأنبياءِ السابقين . لكن هذا لا يعني أن صيامَ المسلمين يتطابقُ في كلِّ ناحيةٍ مع صيامِ الذين آمنوا بالأنبياءِ السابقين . فهناك اختلافاتٌ لاشك في وجودِها تُميِّـز بين صيامِنا نحن المسلمين وصيامِـهم .

- ويحددُ القرآنُ الكريمُ وقتَ الصيامِ وزمانَـه ومُدتَـه والغايةَ منه ، وتبين السُّـنةُ النبويةُ المطهرةُ كلَّ أحكامِ الصيامِ بياناً وافياً شافياً . ونحن سعداءٌ بحلولِ هذا الشهرِ

الكريم ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ (البقرة:١٨٥) نسألُ اللهَ تعالى أن يوفِّقَنا إلى صيامِهِ على الوجهِ الشرعيِّ السَّديدِ ، وأنْ يتقبَّلَ منَّا صيامَنا وقيامَنا وزكاتَنا وكلَّ أعمالَنا ، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب .

ويجبُ أن نعْلمَ أن الصيامَ الشرعيَّ السديدَ يتطلَّبُ منا اجتنابَ المعاصي والآثامِ ، الكبائرِ والصغائرِ ، والتوْبةَ النصوحَ . فهذا هو الواجبُ الأوَّليُّ أو الأساسيُّ في التقوى التي هي الغايةُ النهائيةُ لصومَ رمضانَ ؛ فالتقوى تعني الانتهاءَ عمَّا نهى عنه اللهُ تعالى ورسولُه ، والعملَ بما أمرَ به اللهُ ورسولُه . و الانتهاءُ عن المعاصي والذنوبِ والآثامِ هو «التَّخْلِيَةُ» ، أي التَّطهُّرُ من المعاصي ؛ أو هو الجانبُ السلبيُّ في التقوى ، لأنه امتناعٌ عن الأعمالِ المُحرَّمةِ في دينِ اللهِ تعالى . لكن التخليةَ تتطلبُ جُهداً كبيراً ، وعزيمةً قويةً صارمةً ، لأن التعوُّدَ على المعاصي يجعلُ تَرْكَها صعباً جداً . والمثالُ المَعروفُ والمشهورُ هو التدخين . فالمُدخِّنُ لا يستطيعُ أن يَتوبَ عن التدخينِ إلا بجُهدٍ كبيرٍ وعزيمةٍ قويةٍ ، ومُثابَرةٍ دائمةٍ ، وتوفيقٍ من اللهِ تعالى .

والرسولُ ﷺ ينبِّهُنا إلى هذا الجانبِ من التقوى ، فيقولُ : «رُبَّ صائمٍ ليس له مِن صِيامِه إلا الجوعُ ! ورُبَّ قائمٍ ليس له مِن قيامِه إلا السَّهَرُ!» وذلك بسببِ معاصيهِ في أثناءِ صيامِه . ويقولُ النبيُّ ﷺ أيضاً : «مَنْ لم يَدَعْ قولَ الزورِ والعملِ به فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه .» فكيف يتفقُ عقلاً أن يقولَ المَرءُ زوراً وهو صائم؟! أيُّ صيامٍ هذا ، وأيُّ طاعةٍ هذه ؟! لكنَّ المصالحَ الأنانيةَ الماديةَ ، وعُنفَ الخصومةِ بين الناسِ ، مع ضعفِ الإيمانِ ، وقِلَّةِ الدينِ ، كلُّ ذلك يجعلُ بعضَ المسلمين يقولُ الزورَ في أثناءِ صيامِه !! وحكمُ الكبائرِ حكمُ الزورِ . فالحديثُ الشريفُ يَصْدُق على أكْلِ أمْوالِ الناسِ بالباطلِ ، ونقضِ العُهودِ والوعودِ ؛ والظلمِ والجَوْرِ وكلِّ أنواعِ الأذى والضررِ . وأما الزنا فحُكمُه معروفٌ ، لأنَّ الجِماعَ الحلالَ مُحرَّمٌ في أثناءِ الصيامِ ، فكان تحريمُ الزنا أشدَّ وأقسَى !

فانتبِه أيُّها المسلمُ لهذا الجانبِ الأساسيِّ من التقوى ، والشرْطِ الجَوهريِّ لصحةِ صيامِك ، ولا تُضيِّعْ الشهرَ الكريمَ بارتكابِ المعاصي والآثامِ . فإذا وفَّقك اللهُ ونجحتَ في «التخْلية» أو التوبةِ النصوح ، فاعْلمْ أنها تمتدُّ شَرعاً إلى ما بعدَ رمضانَ . ومن المؤسفِ أنَّ بعضَ المسلمين يَظنُّ أنه يَكفي الامتناعُ عن المعاصي في رمضانَ (أو في نهارِ رمضان!!) فإذا جاءِ شوَّالُ عادوا إلى ما كانوا عليه! والحقُّ أن التقوى التي هي الثمرةُ المَنشودَةُ من صيامِ رمضانَ هي تقوى دائمةٌ . ولكي نُوضِّحَ ذلك علينا أن نعتبرَ شهرَ رمضانَ مَصحَّةً رُوحيةً ندخلُها لعلاجِ أمراضِنا السُّلوكيةِ والرُّوحيةِ . فإذا تعافَينا حقاً ، لم نُعانِ من الأمراضِ التي كنَّا نشكو منها ، وتمتعنا بالصحةِ بعد الخروجِ من المصحةِ . أما إذا عادَتْ إلينا تلك الأمراضُ بمجردِ الخروجِ من بابِ المصحةِ ، كان معنى ذلك أن العلاجَ فَشِلَ فشلاً ذريعاً . وبعبارةٍ أخرى ، كان معنى ذلك أننا نُصرُّ على مُواصَلةِ الآثامِ والمعاصي . والإصرارُ يَحْرمُنا من مَغفرةِ اللهِ تعالى وثوابِه ، ولم نَفُزْ من صيامِ رمضانَ بشيءٍ سوى الجوعِ والعطشِ ، كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ . يقولُ الحقُّ تبارك وتعالى في وَصْفِ المتقين ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٥) فاسْألوا ربَّكم ﷻ أن يَقيكم شُرورَ الإصرارِ على المعصيةِ !

ومع «التخْليةِ» تأتي «التحْليَةُ» ، أي الأعمالُ الإيجابيةُ التي يجبُ على المسلمِ أن يُؤديها في شهرِ رمضانَ المباركِ ، إلى جانبِ الصيامِ

ومن البَدَهيِّ أنْ يُحافظَ على أداءِ الصلواتِ ، وصلاةِ القيامِ ، والتهجُّدِ إن استطاعَ .

وشهرُ رمضانَ هو الشهرُ ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (البقرة:١٨٥) فلا بد للمسلمِ أن يَحرصَ على قراءةِ القرآنِ الكريمِ . وليس الكمُّ هو المهمُّ ، ولكنْ صحَّةُ القراءةِ والتدبُّرُ والفَهمُ ، ومُحاولَةِ الحِفظِ ، ثم الالتزامُ بأحكامِ القرآنِ وآدابِه في كلِّ عملٍ يقومُ به . أما القراءةُ السريعةُ ، بقصْدِ خَتمِ المُصحَفِ

مرةً أو أكثرَ ، دون تدبُّرٍ أو فهمٍ أو عملٍ ، فهي خطأٌ شاعَ وذاعَ للأسفِ الشديد! والواجبُ على المسلمِ أن يتلوَ كتابَ ربِّه ، على أحسنِ وَجهٍ ؛ ولكي يَفهمَهُ ويعملَ به يجبُ أن يَمتلكَ كتاباً في التفسيرِ . وكتبُ التفسيرِ اليسيرةُ كثيرةٌ جداً . وعَيبٌ كبيرٌ في حقِّ أيِّ مُتعَلِّمٍ مسلمٍ أن يَخلوَ بيتُه من كتابٍ في التفسيرِ ، يُمكِّنُه من فَهمِ كتابِ اللهِ . وإذا تيسَّرَ له حُضورُ دَرْسٍ دينيٍّ في المسجدِ ، أو فيِّ مكانٍ آخرَ ، كان عليه أن يَحرصَ عليه . والإذاعاتُ العربيةُ تقدِّمُ دروساً مُنوَّعةً على امتدادِ الشهرِ الكريمِ . والحاصلُ الآن للأسفِ الشديدِ هو تفضيلُ كثيرٍ من الصائمين مُشاهدَةَ الأفلامِ والمُسَلسَلاتِ العديدةِ ، على الدروسِ الدينيةِ !

ومن الأعمالِ الإيجابيةِ في شهرِ الصيامِ المباركِ أداءُ كلِّ صائمٍ لعمَلِه اليوميِّ المُعتادِ بأقصى ما يستطيعُ من الجدِّية والنشاطِ ، فلا يُعطِّلُ مَصالحَ الناسِ مثلاً بحُجةِ أنه صائمٌ . ولا بأسَ أن يجعلَ الصائمُ عمَلَه في الليلِ إذا كان عملاً شاقاً لا يستطيعُ أداءهُ في النهارِ وهو صائمٌ .

ومن الأعمالِ الإيجابيةِ في شهرِ رمضانَ المعظمِ الإنفاقُ الماليُّ في أوْجهِ الخيرِ ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ : «أجْوَدَ الناسِ ، وكان أجْوَدَ ما يكونُ في رمضانَ ، حين يَلْقاهُ جبريلُ عليه السلام أجْوَدَ بالخيرِ من الرِّيحِ المُرْسَلةِ .» فعَليكَ أيُّها المسلمُ القادرُ أن تَمُدَّ يَدَ العَوْنِ إلى إخوانِك المُحتاجين والفقراءِ ، وتَدْعَمَ المشروعاتِ الخيريةِ التي يُشرفُ عليها أهلُ الدينِ والأمانةِ . ومن البدَهيِّ أن المسلمَ الكريمَ المُنفقَ يتحرَّى الحلالَ فيما يُنفِقُ ، فمالُه حلالٌ ، وهو يُنفِقُه في حلالٍ . أما أن يَرضَى بالكسْبِ الحرامِ ، ثم يُنفقُ منه ، مثلما تفعَلُ بعضُ الراقصاتِ ، فذلك غيرُ مقبولٍ ، لأن اللهَ تعالى طيِّبٌ ولا يقبلُ إلا طيباً ، كما قال رسولُ اللهِ ﷺ .

ومن الأعمالِ الإيجابيةِ الطيبةِ في رمضانَ المباركِ توطيدُ العلاقاتِ الأخَويةِ بين الأهلِ والجيرانِ والزملاءِ والشركاءِ ، بالتزاورِ ، والولائمِ البسيطةِ المُشتركةِ

والمُتبَادَلةِ ، وبالمشاركةِ في السَّراءِ والضرَّاءِ ، وتلبيةِ الدَّعواتِ طالما كانت الاحتفالاتُ خاليةً من المعاصي .

فمَرحباً بشهرِ رمضانَ المباركِ ، شهرِ التخْليةِ والتحْليةِ ، شهرِ التوبةِ النصوحِ والتطهرِ من الآثامِ والذنوبِ ، شهرِ القرآنِ وشهرِ الجهادِ ، وشهرِ العلمِ والتعلمِ وشهرِ الخيراتِ والنفقاتِ والتبرعاتِ ، شهرِ الحُبِّ والمحبةِ والمودةِ ، شهرِ مَرضاةِ اللهِ تعالى وشهرِ القُربِ منه سبحانَه . وفَّقنا اللهُ وإياكم إلى صيامِه على الوَجهِ الذي يُرضيهِ عنَّا ، آمين .

(الدعاء)